الفصل الرابع

ملخّص

1- منطلقات

1- لا يتعلق الأمر *بالتقويم* على الإطلاق، بل *بالتفسير*.
2- كل إنسان لديه أعراض، لأن كل حياة منفصلة عن الوحدة، وبالتالي غير سليمة.
3- كل عرض تعبير عن عيبٍ أو نقص، لأنه يكشف ما *يعيب* أو *ينقص* الكلّية.
4- لا شيء يمكن أن يزول أو يختفي نهائياً، وليس بالإمكان في كل حالة سوى تحريك أو دفع الأعراض، إما أفقياً في مستوى واحد (في الجسد على سبيل المثال)، أو عمودياً فيما بين مستويات مختلفة (الجسد والنفس أو بالأحرى الذهن).
5- الشكل والمضمون يوافقان الجسد والنفس، وهما متلازمان ومترابطان. الشكل (أو الجسدي) هو نقطة الاتصال الضرورية مع المضمون (أو النفسي)، مثلما هي الخشبة موقع الاتصال مع مضمون المسرحية.
6- لا توجد في النهاية أي أسباب، وحيث نجد أنفسنا بحاجة إليها بغية الاقتراب من الحقيقة، من الحكمة أن ننطلق من الأسباب الكلاسيكية الأربعة المعتمَدة في العصور القديمة: السبب الدافع (الذي يعمل انطلاقاً من الماضي) والسبب النهائي (السبب الغائي) والسبب الشكلي (سبب النموذج) والسبب المادي (أو بالأحرى القاعدة المادية).
7- تتكون الحقيقة من مستويات تناظرية، والتفكير القياسي يتّفق مع هذه المستويات أكثر من التفكير السببي.
8- العلاقة بين المستويات علاقة تزامن، لا علاقة سببية، كما إنها علاقة غير منطقية بالمعنى المألوف، بل هي علاقة قياسية.
9- تشكّل الطقوس الدعامة الأساسية للعيش البشري المشترك، وذلك إما بشكل واعٍ، أو بشكل لاواعٍ كنموذج ظلّ.

10- الصور المرضية هي طقوس ظلّ تحافظ على توازن الإنسان، ويمكن استبدالها بطقوسٍ واعية للنموذج الأولي نفسه.

2- تعليمات وأسئلة مبدئية

يمكن لـ "الأسباب" الأربعة أن تساهم في فكّ شيفرة الطقس، الذي يُرغِم العرض عليه، ولهذا الغرض لا بد من الإحساس بالحقل الذي يعيش فيه الشخص المعني. أما الأسئلة السببية فهي التالية:

1- من أين يأتي العرض؟ ما هي قاعدته الوظيفية؟ ففي حالة "الغريب" مثلاً تكون الإجابة: منذ يومين أُصيب المريض بالزكام، أو بالأحرى *التقط* فيروسات الغريب.

2- ما هي القاعدة المادية التي تسير عليها الصورة المرضية، وما هي مقولة العضو المصاب؟

مثال: عضوا الأنف، والبلعوم، وأعضاء الحواس. يتعلق الأمر بالتبادل والاتصال مع العالم الخارجي.

3- ما هو الإطار الذي ينتشر ضمنه العرض؟ ما هي قوانينه؟

مثال: لم يعد المرء يريد الانفتاح، لم يعد متحمّساً للظرف المعني، وصل الأمر حتى أنفه، لم يعد يريد سماع أو رؤية أي شيء. الاتصال الخارجي مرفوض، أو لا يعود يُقام إلاّ بشكل عدواني، فهو يسعل، ويعطس، ويتمخّط، ويبصق.

4- إلام يرمي العرض؟ إلى أين يريد أن يصل بالمصاب؟

مثال على الإجابة: ينبغي عليه أن يعترف أنه *ضاق ذرعاً*، ويريد التخلّص من العدوان.

يبيّن سير الزكام "الطبيعي" الطقس الذي يغتصب حقه في الوجود عبر الأعراض المفردة. ويتم إخراج مشهد الانغلاق على مسرح الجسد: حصار، أو سدّ أعضاء الحواس، أو بالأحرى الطرق التنفّسية وعيش العدوان المحتبس. أما المحيط فيقرّ بهذه الإشارات ويسمح للمصابين بالذهاب إلى المنزل، وهم يسعلون ويلهثون وينفثون، ويجري طقس انسحابٍ عسكري، علماً بأن المعركة تدور في الأنسجة بصفة خاصة، والانسحاب يجري في المحيط الاجتماعي قبل كل شيء. وينصّ الطقس على عدم المساس بالمصابين بعد الآن، وبإمكانهم الانسحاب بشكل منظَّم. إذا لم يتعرّف المشاركين في اللعبة إلى هذه الإشارات على الفور، فرض

المصابون إرادتهم بصورة مباشرة وودية: "لا تقترب مني كثيراً، أنا مصاب بالزكام!". يقرّ المزكومون بكل براءة بضرورة هذا الطقس، حينما يعترفون بأنهم *جلبوا لأنفسهم الزكام* أو *أخذوا برداً*، ومن الطبيعي أن المرء لا يأخذ إلاّ ما هو بحاجة إليه.

أسئلة

- عن طقس المرض وإطاره:

1- *ماذا فعلت حتى جلبت لنفسي، أنا بالذات، هذه المشكلة؟*
2- *لماذا يحدث هذا الآن تحديداً؟ وفي الحدثيات المزمنة: متى أصابني لأول مرة؟ متى كان شديداً بصفة خاصة؟*
3- *لماذا تصيبني هذه الصورة تحديداً؟*
4- *ما هو النموذج المتكرّر في حياتي، والذي يشير إلى نفسه في طقس المرض؟*

3- المرض بوصفه فرصة

يمكن النظر إلى كل صورة مرضية من جانبين اثنين، فهي أولاً تجعلنا صادقين، وتبيّن لنا ما نريد إنكاره. يمكن للشلل مثلاً أن يلفت نظر المصاب إلى مدى شلله وخموله في المجال النفسي، الذهني. ثانياً لكل صورة مغزى، وهي تميط اللثام عن مهمّةٍ ما، فالشلل يمكن أن يبوح مثلاً بضرورة تخفيف الرقابة الواعية والاستسلام للهدوء والراحة. يوضّح مبدأ "المرض يجعلنا صادقين" المستوى غير المخلَّص للنموذج، ويوضّح مبدأ "المرض يكشف مهمة" المستوى المخلَّص للنموذج.

من وجهة النظر الأولى يظهر نموذج متألّم كئيب، ومسار المرض الذي يفتقد إلى الوعي، ويمكن لقبول هذا النموذج ورسالته أن يقودا إلى المستوى الثاني وأن يجعلا من التجربة الأليمة الكئيبة طقساً يتيح النموّ.

يستحيل على الشخص الحيادي أن يقدّر من الخارج في أي مستوى وفي أي مرحلة يتواجد المصابون للتوّ. كثيراً ما يصبح الترف أو الإرضاء المادي الجسدي تعويضاً عن الإرضاء الداخلي حسب الشعار: "الخارج بدلاً من الداخل". ولكنه قد يعكس أيضاً، "كما في الداخل كذلك في الخارج"، الإرضاء الداخلي. قد تكون الحالة الأخيرة أكثر ندرةً، ولكنها ممكنة. لعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن وفرة الوسادات الخارجية، التي يستريح عليها بوذا، تعبير عن الإرضاء الداخلي. تنطلق البوذية على أي حال من أن كل إنسان ينطوي على طبيعة بوذا، وهذا إشارة مرة أخرى إلى عدم جواز الحطّ من شأن وسيلة، هي في الواقع أداة رائعة لمعرفة النفس، وتحويلها عن طريق التقويم إلى متاجرة بالذنوب والآثام.